

مؤتمر الادباء في الجزائر

العام ، بأن « الحرية » تكاد تكون « مفروضة » فرضا على المؤتمر ، خلافا لما كان عليه حال معظم المؤتمرات السابقة، هو الذي جعله يتحلى بصبر و « طول بال » لم تكن نعمدهما فيه . . . فكان أمرا يستحق الثناء أن يظل زهاء ثماني ساعات ، في جلستين للمكتب الدائم ، يستمع الى المناقشات ويشارك فيها بهدوء أعصاب ، ما عدا مرة واحدة تخلى فيها عن هدوئه حين طرح رئيس وفد المغرب فكرة اقرار « ميثاق شرف » للادباء . . . صحيح أن نص هذا الميثاق كان يتضمن بعض الاحكام القاسية على مؤتمرات الادباء ، ولكننا كنا نؤثر لو ان الامين العام ظل ملتزما الاناة ، وترك لسائر الاعضاء أن يناقشوا الموضوع من غير محاولة للتأثير المسبق عليهم . . . غير أن ذلك لا يمنعنا من القول بأن الاستاذ السباعي قد احترم ، هذه المرة ، جو انحرية الرجب الذي اتاحتها الجزائر ، حتى اننا اقترحنا ، بين المزاح والجد ، أن تعقد جميع جلسات المكتب الدائم القادمة على أرض الجزائر (1) . . .

ولا شك في ان القرار الذي اتخذته المكتب ، وأقره المؤتمر ، وورد في البيان العام بالنص الذي اقترحه الوفد اللبناني ، بتأليف لجنة دائمة للدفاع عن حرية التعبير ، ربما كان أهم قرار اتخذته الادباء العرب فسي مؤتمراتهم كلها .

صحيح ان قرار الدفاع عن حرية التعبير لدى الكاتب العربي قد ورد في توصيات المؤتمرات جميعا ، ولكن أهميته في هذا المؤتمر تصدر من زاويتين ، أولاها انه يتخذ في أول مؤتمر للادباء يلي مؤتمر تونس الذي

شاركت في جميع مؤتمرات الادباء العرب ، رئيسا لوفد اللبناني أو عضوا فيه ، وحضرت المكتب الدائم للادباء العرب في جميع دوراته وأسهمت في مناقشاته . ويسعني ان أقول ان المؤتمر العاشر للادباء العرب الذي انعقد في الجزائر العاصمة ، من ٢٥ الى ٢٨ نيسان الماضي ، كان من افضل المؤتمرات التي عقدتها هذه المنظمة، من حيث جو الحرية الذي ساد أعماله جميعا ، ومن حيث التنظيم الذي رافق مختلف نشاطاته .

اما الحرية التي أتيحت للاعضاء ، في المؤتمر وفي المكتب الدائم ، فقد أدت الى نتائج ايجابية لم يكن ممكنا بلوغها في المؤتمرات السابقة . ذلك ان المشرفين على مؤتمر الجزائر ، ولا سيما رئيسه الدكتور عبد الله ركيبي، كانوا يشعرون المؤتمرين ، منذ البدء ، بأنهم هم سادة المؤتمر يديرونه كما يشاءون ، بلا وصاية ولا ضغط من أية جهة ، وان بإمكانهم أن يتخذوا من القرارات والمواقف ما يريدون ، من غير اعداد سابق أو توجيه معين . وهكذا دخل أعضاء المؤتمر « قاعة قصر الامم » في راحة نفسية واطمئنان داخلي مكنا لهم أن يعبروا عن آرائهم ، على اختلافها ، بكل حرية .

بل لقد أخفقت تلك المحاولة التي كانت ترمي الى عدم انعقاد المكتب الدائم في الجزائر ، اذ طالب بعض رؤساء الوفود بتحويل اجتماعهم الى اجتماع للمكتب الدائم يستطيعون فيه أن يطرحوا من المسائل ما لا يحتمله اجتماع رؤساء الوفود . . . وبذلك أتيح للمكتب أن يعالج قضيتين هامتين جرت محاولات كثيرة سابقة لتجنبهما وازاحتهما وهما تكوين لجنة خاصة ، من بعض أعضاء المكتب الدائم ، للدفاع عن حرية التعبير ، واقرار مبدأ ضرورة تعديل بعض نصوص النظام الاساسي واللائحة التنفيذية للاتحاد العام للادباء العرب .

ولعل احساس الاستاذ يوسف السباعي ، الامين

(١) كان رئيس المؤتمر ، الدكتور ركيبي ، من شدة الحرص على اقامة حرية التعبير للجميع بحيث استغل عضو في الوفد المصري ، هو الحساني حسن عبد الله ، هنا الجو لتوجيه شتائم مقلعة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، فاستعمل الجمهور حقه في انزاله عن المسرح من غير ان يتم كلمته .

قمت فيه حرية الفكر ، فهو بذلك انتصار للفكر الحر الذي هو الهم الاساسي للاديب العربي ، وثاني الزاويتين انه « رد اعتبار » حاسم لوفد اتحاد الكتاب اللبنانيين الذي حال الارهاب السلطوي في المؤتمر التاسع للادباء العرب دون استصدار قرار بشجب ما دعا الى شجبه من اضهاد المفكرين والادباء والصحفيين المصريين في ذلك الحين .

وان نكون من السداجة بحيث نعتقد ان قرار اليوم سيضمن للاديب العربي ، بعد الآن ، حرية التفكير والتعبير ، وسيقيه قمع السلطة وارهابها ، وسيكفل له الكلام دون خوف أو ضغط . . . ان ذلك كله لا يأتي الا بمضي المفكرين والادباء في طريق النضال والصراع من غير هدنة أو مهاودة . غير ان هذه اللجنة الدائمة لن تستطيع الصمت بعد الآن عن اي قمع يتعرض له الاديب في أي قطر عربي ، ولا بد أن يكون لذلك اثره في وضع الاديب ، وفي وضع السلطة على حد سواء .

اما تنظيم المؤتمر ، فقد بلغ مستوى جيدا من الدقة والفعالية . ولعل هذه هي المرة الاولى في مؤتمرات الادباء التي نجد فيها الابحاث والاقتراحات والقضايا توزع في أوانها ، بالرغم من علمنا بوصول كثير من الابحاث متأخرة او ربما عشية انعقاد المؤتمر . ولم يكن ثمة نهاون أو تراخ في نظام الجلسات وأوقاتها وجديتها ، حتى ان الوفود شكت من صرامة التنظيم ، وهي صرامة لم تعدها في السابق . ولا بد من الاشارة هنا الى ان جهاز التنظيم الذي وضع تحت امرة المؤتمر كان من الفعالية بحيث استغنى اتحاد الكتاب الجزائريين عن جهاز المكتب الدائم الذي كان يشرف من قبل على معظم مؤتمرات الادباء . وهو بذلك يستحق كل ثناء .

بعد تسجيل هذه الايجابيات للمؤتمر العاشر للادباء العرب في الجزائر ، لا بد من تسجيل بعض سلبياته .

السلبية الاولى تتعلق بالابحاث . فهناك وفود لم تتقدم بأي بحث . . ونحن اذا غفرنا لبعض البلدان التي لم تبلغ من تطور الفكر والبحث والنقد ما يسمح لها بتقديم دراسات جادة ، فلسنا نفهم سببا لتخلف العراق مثلا ، وهو ما هو في انتاجنا المعاصر ، عن نشر أي بحث ! كما اننا كنا نتمنى أن يقدم أعضاء الوفد الفلسطيني الحاضرين بعض الابحاث الشبيهة ببحث الدكتور حسام الخطيب الذي كان غائبا . . .

ثم ان مستوى الدراسات التي قدمت ، والتي كان من افضلها دراسات الوفد اللبناني كما شهد النقاد والحضور ، لم يسجل تقدما كبيرا عن ذي قبل . . . وليست الجزائر مسؤولة طبعا عن ذلك ، بل ان المسؤول رغبة مجاملة تدفع الى اكثر موضوعات المؤتمرات وبحثها أفتيا ، بدلا من تقليصها وبحثها عمقا ، وهو ما لا نفتأ نطالب به

منذ وقت بعيد . ولعل هذه هي الفرصة المناسبة للمطالبة بعقد ما يمكن تسميته ب « مؤتمر المؤتمرات الادبية » وقد اقترحنا ذلك فعلا في الجزائر على الامين العام ، وذهبنا الى ان المطلوب تقديم ابحاث ، في المؤتمر القادم الذي سيعقد في ليبيا ، تتناول مؤتمرات الادباء العرب السابقة بالدراسة والتقييم . بحيث يمكن ان نخطط للمؤتمرات القادمة دروبا اكثر جدوى وفعالية في خدمة ادبنا العربي الحديث .

والسلبية الثانية التي نوردها تتعلق بمهرجان الشعر الذي يربط عادة بمؤتمر الادباء ويلييه في الترتيب .

وهذا المهرجان هو الرقم ١٢ في مهرجانات الشعر . . . وقد بدأت المهرجانات الشعرية بداية جيدة ، اذ كان يشارك فيها كثير من المجليين من شعرائنا المحدثين ، ثم أخذت تسوء تدريجيا بسبب من مجاملة البلدان التي تستضيفها ، اذ راحت تطالب ، بصفتها البلد المضيف ، باشارك اكبر عدد من شعرائها ، ولا سيما التقليديين . . . وكان من نتيجة ذلك ان أخذ الشعر التقليدي العمودي يطفئ في المهرجانات ، مما جعل ممثلي الشعر الجديد يزهدون في المشاركة ، ويمتنعون شيئا فشيئا عن القاء قصائدهم اذا حضروا . . . وفي مهرجان الجزائر ، سقطت معظم القصائد التي التي القيت ! فلولا شعر الجواهري وأبي سلمى ، لانهم اشعر العمودي هزيمة منكرة ، ولولا أحمد دحبور وحמיד سعيد وسواهما قليل ، لاجهض الشعر الحديث . . . وهكذا خرج حضور المهرجان بحصيلة هزيلة

استخلصوها مما يمكن وصفه حقا ب « مجزرة » الشعر ! ذلك اننا كنا مرغمين على الاستماع لما يزيد على خمسين شاعرا لم يكن عدد الذين أبقوا منهم للشعر قيمته يتجاوز اصابع اليد الواحدة . . . وهي نسبة مريعة لا بد معها من التفكير بايجاد صيغة جديدة لمهرجانات الشعر . ذلك ان المتلقي المتذوق يرهقه ارهاقا شديدا أن يتجشم مشقة الاستماع الى خمسين شاعرا ليقتل منهم خمسة . . . وهو يفضل انفاء هذا المهرجان كليا ، أو قصره على عشرة شعراء يختارون اختيارا دقيقا من ممثلي شعرنا الحديث ، يمنحون وقتا كافيا لقراءة نماذج من قصائدهم تعبر عن تطورهم الشعري بصورة خاصة ، وعن تطور المسار الشعري كله بصورة عامة .

وبعد ، فقد كنا نتمنى أن يسجل مهرجان الشعر العربي الثاني عشر خطوة الى الامام ، على غرار مؤتمر الادباء العرب العاشر ، لا أن يتقهقر الى الوراء !

كلمة الوفد اللبناني (١)

تركنا لبنان وهو ما يزال ينزف من آثار المجزرة الرهيبة التي قامت بها عصابة الكتاب الفاشية ضد الثورة الفلسطينية وضد القوى الوطنية اللبنانية .

(١) نص الكلمة التي ألقيتها ، باسم الوفد اللبناني ، في حفلة افتتاح مؤتمر الادباء العاشر بالجزائر .

الفكري ، سواء اتخذ شكل الاعتقال أو الحجز أو الطرد أو التهديد في الرزق ، أو مصادرة الكتب والمجلات ومنعها ، لان هذا أيضا نوع من الاعتقال ... ويؤسفنا ان تؤكد ان وضع الحرية الفكرية في البلاد العربية يزداد سوءا . وان الابداء المقموعين يزدادون عددا ، وان الاضطهاد الفكري بدأ يظهر حتى في بعض البلدان التي كانت ، الى عهد قريب ، تتورع عنه ..

من اجل هذا ، يجب أن نرفع صوتنا هنا ، في هذا البلد الذي عانى شعبه وضحي كثيرا من اجل الحرية ، لنطالب باطلاق جميع المعتقلين الذين حجزوا بسبب من أفكارهم أو معتقداتهم وباطلاق الكتاب العربي والمجلة العربية عبر الحدود بلا قيود ، وبالحيلولة دون المضي في ممارسة الارهاب الفكري .

ونود ان نقدم اقتراحا عمليا يوصي بتكوين لجنة خماسية أو سداسية من أعضاء المكتب الدائم للادباء العرب ، تكون مهمتها المبادرة الى التحرك للدفاع عن حرية التعبير كلما تعرض كاتب أو مثقف لاي نوع من أنواع القمع أو الحجز أو الضغط أو الاذى ، في أي بلد عربي ، وأن يتم ذلك بالاحتجاج أو التحرك للتقصي أو أي أسلوب آخر يؤدي الى رفع الضيم وكف الاذى واطلاق الحرية .

ونقترح أن تتشكل هذه اللجنة التي يطلق عليها « لجنة الدفاع عن حرية التعبير » ، من فلسطين ومصر والجزائر والعراق وسوريا . فاذا أخذ المكتب الدائم بهذا الاقتراح ، فان لبنان مستعد أن ينضم الى هذه اللجنة ، وسيستعد اتحادنا للمشاركة فيها ..

وايا ما كان ، فان اتحاد الكتّاب اللبنانيين قد أخذ على نفسه عهدا بأن يظل رافع الصوت دفاعا عن حرية الكلمة العربية ، في لبنان وفي كل جزء من الوطن العربي . وقد وضع هذا الهم في رأس برنامج عمله المقبل بعد انتخاب هيئته الادارية الجديدة التي اختارت بالاجماع الدكتور ميشال سليمان امينا عاما جديدا للاتحاد والتي تتابع مسيرة مؤسستنا في خدمة الثقافة العربية .

أيها الاخوة أعضاء المؤتمر العاشر للادباء العرب

سنستمع في الايام القادمة الى أبحاث ودراسات ، وسنشترك جميعا في مناقشات وتوصيات ، وسننعم بقصائد الشعراء ... ولكن ذلك كله سيبقى بعيدا عن أن يوتي ثماره وفاعليته في تطوير ادبنا العربي الحديث اذا لم نجعل همنا الاول في كتابة الابحاث وعقد المناقشات ونظم القصائد ، أن نوفر للاديب مطلق الحرية في التعبير وأن نناضل جميعا ، مهما تعرضنا للاذى والاضطهاد ، لنضمن لانفسنا هذه الحرية - رأس مالنا الاكبر ، وعنوان كرامتنا ، والسلام .

ولست تلك المجزرة الا حلقة من سلسلة المؤامرات التي تحاك على الشعب اللبناني الذي يخوض معركة التحرر الوطني كجزء من حركة التحرر العربية . وحين نهضت القوى الوطنية والتقدمية تتصدى لهذه المؤامرة ، فقد كانت تعي وعيا عميقا بأن دعم المقاومة الفلسطينية ، الى كونه قضية قومية تفرضها وحدة المصير العربي ، هو قضية وطنية يؤديها الشعب اللبناني تعبيرا عن رغبته في التغيير و ارادته في الخروج بالمجتمع اللبناني من آفات الطائفية والاقطاعية والاستغلال والارهاب الى آفاق الديمقراطية الصحيحة ، لا المشوهة ، والمساواة وتكافؤ الفرص والحرية ، لمصلحة جماهير الشعب اللبناني كلها لا لمصلحة فئة احتكارية معينة .

وقد وقف المثقفون اللبنانيون ، ممثلين باتحاد الكتاب اللبنانيين ، موقفا حاسما وصريحا من هذه الاحداث الدامية ، حين أعلنوا انحيازهم الكامل الى المقاومة الفلسطينية والى لبنان الحقيقي ، لبنان العربي الديمقراطي ، واستنكارهم للمؤامرة الرجعية الاستعمارية . وقد كان اتحادنا في موقفه هذا منسجما مع ايمانه ورؤيته وتحركه بصفته قوة وطنية طليعية مرتبطة بحركة التحرر العربي التي تعيشها الامة العربية في كل جزء من أجزاء الوطن الكبير .

ونحن اليوم ، اذ نتحدث هذا الحديث في ارض الجزائر ، فانما نتمثل الممارك البطولية والكفاح العظيم الذي خاضه الشعب الجزائري في سبيل تحرره من الاستعمار والتخلف عبر ثورة تعتبر من أعظم الثورات في التاريخ الحديث . فهي جديرة بأن تكون قدوة لسائر الشعوب العربية ، ومنها الشعب اللبناني ، في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه ، على صعيد الصمود والتضحية والعطاء .

واذ نتحدث هذا الحديث في مؤتمر الادباء ، فلايماننا بأن هموم الادباء والمفكرين جزء لا يتجزأ من هموم الشعب ، من هنا كان نضال المثقف اللبناني ، ولا يزال ، من أجل الحريات الديمقراطية ، وكفاحه المتصل في وجه جميع أساليب الضغط والقمع التي تمارسها السلطة عندنا ضد المفكرين والصحفيين ، والتي تتراوح بين الاعتقال والارهاب وطرده بعض المثقفين العرب من لبنان ، بحيث ان الحرية التي يتفنى بها عندنا ليست الا حرية نسبية يكتسبها المثقفون بنضالهم المستمر ، ولا تعطى لهم هبة من السلطات ، ولا منة من القانون .

اجل ، أيها الاصدقاء الادباء ! نحن أيضا نعاني من محاولات القمع والضغط على الحريات التي يعاني منها المثقفون في معظم أقطار الوطن العربي . وواجبنا هنا ، مرة أخرى ، أن ندين كل أسلوب من أساليب الارهاب